وقد استهدفت الحكومة السوفياتية من مشروع بيروبيجان ثلاثة اهداف رئيسية : حل المسالة اليهودية في الاتحاد السوفياتي وكسب عطف يهود العالم ، وتوطين الشرق الاقصى السوفياتي لاعتبارات استراتيجية واقتصادية . وقد فشلت تجربة بيروبيجان في تحقيق الهدفين الاولين وقد كان واضحا في نهاية عام ١٩٣٨ حيث لم يبق في بيروبيجان اكثر من عشرين الف يهودي اي ما يقارب عشرة بالمئة من مجموع سكان المقاطعة التي تتكون اغلبيتهم من الاوكرانيين . وقد منحت المقاطعة صفة « يهودية » رغم ان أكثريتها ليست يهودية ، من أجل تشجيع الهجرة اليها .

أما الهدف الثالث فقد نجحت فيه الحكومة السوفياتية هادفة الى استغلال اراضي الجزء الاسيوي من الدولة ، ولاهداف عسكرية اخرى تتعلق بخطوط التموين والكثافة السكانية في حال تعرض تلك المنطقة لغزو خارجي .

ان الاهداف الثلاثة للمشروع كما وضعته السلطات السوفياتية لم تسر جنبا الى جنب منذ البداية . فلم يكن هدف المشروع ، في عقل الذين وضعوه ، حل مشكلة الجزء الاسيوي من الاتحاد السوفياتي القليل السكان ، بقدر ما كان حل المشكلة اليهودية . والجدير بالذكر ان اختيار منطقة بيروبيجان قد تم بعد سلسلة محاولات لتوطين اليهود في جنوب اوكرانيا وفي شبه جزيرة القرم مع ما رافق ذلك من انشاء منظمات خاصة لهذا الغرض . ولم تشعر السلطات السوفياتية بالارتياح لتوطين اليهود في المزارع التعاونية في اوكرانيا والقرم لان هذه المزارع اصبحت مراكز للدعاية الدينية ، ولان الفلاحين هناك قد شعروا بالغيرة من جراء هذا التميز . لذلك اتجهت الانظار صوب بيروبيجان . اضف الى ذلك ان ستالين أخذ يشعر بعدم الاطمئنان الى ولاء اليهود التام للاتحاد السوفياتي وقد وجد من الافضل عدم تركيز اليهود في منطقة استراتيجية مثل اوكرانيا او القرم. وبسبب ذلك الدعاية الصهيونية المضادة والتي أخذت تنتشر بين يهود الاتحاد السوفياتي ووجود بؤر صهيونية فيها مثل جماعات « عشاق صهيون » التي انتشرت فروعها في جميع المناطق التي كان يوجد فيها اليهود وكان رئيسها « ليو بنسكر » مؤلف كتاب « التحرير الذاتي » ورائد الفكرة الصهيونية بين يهود روسيا في شكلها الحديث .

قلت ان اهداف المشروع الثلاثة لم تسر جنبا الى جنب لان الاسبقية في المشروع كانت لحل المشكلة اليهودية . ولكن بعد أن اعرض اليهود عن التجاوب مع المشروع ، انصب جهد الحكومة السوفياتية على تنمية تلك المنطقة لاغراض استراتيجية ودفاعية .

تبقى نقطة اخيرة أرى انه من المهم التركيز عليها وهي موقف الصهيونية من المشروع .وبالرغم من أن الكاتب يفرد فصلا خاصا لعرض اراء الذين وقفوا ضد المشروع ، فان هذا العرض لم يأت ضمن اطار محدد يعرض فيه تأثير هذه المعارضة في نتائج المشروع ومدى قدرة الصهيونية في الاتحاد السوفياتي في التأثير على اليهود .

لماذا عارضت الصهيونية المشروع ؟ وما هي الاهداف التي كانت تتوسلها ؟ . لقد دحض الكثير من الكتاب السوفيات ، اليهود منهم وغير اليهود، مزاعم الصهيونية واعتبروا ان هذه الحركة رجعية وبورجوازية صغيرة تهدف الى تحويل اهتمام الجماهير اليهودية عن النضال الطبقي الذي كان بنظر الصهيونية الوسيلة المثلى لانقاذ البروليتاريا اليهودية ، بينما هو في الحقيقة وسيلة توفر للبورجوازية اليهودية الاوروبية الطاقة البشرية لتحقيق اطماعها على أرض فلسطين .

لقد تمكن المؤلف من عرض مشروع بيروبيجان عبر سلسلة من الارقام والوقائع والكتابات والتصريحات الصادرة في الاتحاد السوفياتي حول هذا الموضوع. وهو قد استفاد من عمله كممثل للعراق في الاتحاد السوفياتي لمدة ثلاث سنوات لتقديم هذه المادة التي يعرف عنها القارىء العربي القليل . الا ان الكتاب قد افتقر الى عنصر اساسي الا وهو غياب دراسة واضحة ، ولو محدودة ، للاسباب التي جعلت التجربة الصهيونية تنجح في استقطاب اليهود الى فلسطين بينما فشلت سلطات الاتحاد السوفياتي في اجتذابهم الى بيروبيجان . ومع أن الكاتب قد قدم صورة تاريخية لوضع اليهود في الاتحاد السوفياتي ولواقع بيروبيجان ، الا ان معلوماته جاءت بهدف « العرض التاريخي » والتعريف بتجربة بيروبيجان . ولو أنه افرد فصلا خاصا في نهاية كتابه يحلل فيه واقع يهود الاتحاد السوفياتي ورفضهم لمشروع بيروبيجان وحماسهم الان للهجرة الى اسرائيل ، لاضاء بذلك الطريق حول هذا الموضوع الهام .

جورج ابي شاهين